المحاضـــــرة الــــــــــــرابعة:

***مفهوم الشعر عند النقاد المشارقة والمغاربة***

إن الشعر ديوان العرب، ومنتهى حكمهم، به يأخذون وإليه يصيرون، وظل هذا النوع من الكلام يحفظ ويتناول في البيئة العربية قبل الإسلام وبعده جيلا بعد جيل.

وقد دخلت لفظة " شعر" بيئة النقد الأدبي، واكتسبت دلالة اصطلاحية، إذ شرع النقاد المشارقة والمغاربة يضعون تعريفات لها، ولكنهم تباينوا في ذلك لتباين مصادر ثقافتهم واتجاهاتهم البلاغية والنقدية.

* فيا ترى ما مفهوم الشعر لغة ؟ و كيف نظر إليه النقاد القدامى المشارقة والمغاربة ؟

**أولا :الشعر لغة:**

ورد في لسان العرب في مادة شعر: " الشعر منظوم القول، غلب على شرفه بالوزن والقافية... وربما سموا البيت الواحد شعرا حكاه الأخفش... وقال الأزهري: الشعر... المحدود بعلامات لا يجاورها، والجمع أشعار، وقائله شاعر لأنه يَشعرُ ما لا يشعرُ غيره أي يعلم، وشعر الرجل يشعر شعرا أو شعرا وشعر، وقيل: شعر قال الشعر، وشعر أجاد الشعر ورجل شاعر والجمع شعراء... ويقال: شعرت لفلان أي قلت له شعرا... والمتشاعر: الذي يتعاطى قول الشعر... ويشعر شاعر جيد..."([[1]](#footnote-1)). فالوزن هو الذي يفرق بين الشعر وغيره.

**ثانيا :مفهوم الشعر عند النقاد القدامى المشارقة والمغاربة:**

اهتم النقاد العرب القدامى بالشعر وحاولوا تمييزه عن النثر، وقد كانت هناك محاولات منذ القرن الثالث واستمرت حتى ابن خلدون في القرن الثامن، إلا أن الشعر يصعب "ضبطه ضمن أي تعريف مشروط ومحدود بشكل نهائي"([[2]](#footnote-2))، **فالجاحظ** **(ت255هـ)** يعرفه بقوله:" فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير"([[3]](#footnote-3))، وفي هذا مقارنة بين الشعر والرسم، وهي مقولة لهوراس يؤكدها إحسان عباس. الذي يعلق على هذا التعريف بقوله: " فلو تخطى الجاحظ حدود التعريف لوجد نفسه في مجال المقارنة بين فنين: الشعر والرسم، بل أن تعريفه لا يخرج عن قول هوراس: الشعر والرسم"([[4]](#footnote-4)).

**أما ابن طباطبا العلوي (ت322هـ)** في كتابه عيار الشعر، فقد عرف الشعر بقوله: "الشعر كلام منظوم بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم، بما خص به من النظم الذي أن عدل عن جهته مجته الأسماع، وفسد على الذوق، ونظمه محدود معلوم، فمن صح طبعه وذوقه لم يحتج إلى الاستعانة على نظم الشعر بالعروض التي هي ميزانه، ومن اضطرب عليه الذوق لم يستعن من تصحيحه وتقويمه بمعرفة العروض والحذق به، حتى تعتبر معرفته المستفادة كالطبع الذي لا تكلف معه"([[5]](#footnote-5))، فهو يفرق بين الشعر والنثر وإنما يكمن الفرق في النظم، والنظم عنده تخيير اللفظ والوزن والصياغة، بيد أنه لم يذكر القافية صراحة، وإنما جاءت متضمنة في كلامه، كما يرى جابر عصفور فهو يشير إلى أن هذا التعريف "يحدد الشعر على أساس الانتظام الخارجي للكلمات، صحيح أن التعريف لا يشير صراحة إلى القافية إلا أنها متضمنة فيه"([[6]](#footnote-6)).

ومن النقاد الذين ذكروا القافية صراحة **قدامة بن جعفر (ت337هـ)** الذي يعرف الشعر بقوله: "قول موزون مقفى، يدل على معنى"([[7]](#footnote-7))، فقد أضاف القافية والمعنى، وجعل الوزن والقافية هما الفيصل في التفريق بين الشعر والنثر.

وممن خاض في تعريف الشعر **عبد الكريم النهشلي(ت405ه)** الذي ذكر في كتابه الممتع: "والشعر عندهم الفطنة؛ ومعنى قولهم ليت شعري: أي ليت فطنتي"([[8]](#footnote-8))، والجديد الذي أضافه النهشلي هو أنّ مفهوم الشعر عند العرب يرتبط بالحذق والمهارة، واستشراف المستقبل؛ إذ أنّه مرادف للفطنة، وحين يعرّف الشعر يثني عليه ويؤثره على النثر كما يفهم من وصفه له قائلاً: "والشعر أبلغ البيانين، وأطول اللسانين، وأدب العرب المأثور، وديوان علمها المشهور"([[9]](#footnote-9)).

وتعريف الشعر بهذا المفهوم يتضمن اهتماما بالشعر والنثر على سبيل الموازنة غالباً، ثم آثر النهشلي الأوّل لاعتبارات ودواع لها علاقة بالناحية الإيقاعيّة خاصة مما يجعله يعلق بالأذهان، ويلصق بالذاكرة.

ويأتي **ابن رشيق القيرواني (ت463هـ)** مستفيدا ممن سبقه ومعيدا صياغة التعريفات السابقة بقوله: "الشعر يقوم بعد النية على أربعة أشياء وهي اللفظ والوزن والمعنى والقافية، فهذا هو حد الشعر"([[10]](#footnote-10)).

هذا ويجمع أكثر النقاد المحدثين، أن النقلة الحقيقية في تحديد مفهوم الشعر جاءت على أيدي الفلاسفة الذين درسوا الفكر اليوناني وتأثروا به، خاصة نظرية المحاكاة التي طبقوها على الشعر العربي، حتى ظهر مصطلح جديد، وهو "التخييل" الذي يقصد به التصوير الفني القائم على رؤية ذاتية ومقدرة إبداعية تجعل منه أساس عملية الإبداع الشعري([[11]](#footnote-11))، وأول من يطالعنا في القرن الرابع **الفارابي (ت339هـ)** الذي يعرف الشعر بقوله:" الشعر هو الصناعة التي بها يقدر الإنسان على تخييل الأمور التي تبينت ببراهين يقينية في الصنائع النظرية والقدرة على محاكاتها بمثيلاتها"([[12]](#footnote-12)).

أما **ابن سينا (ت449هـ)** فيرى أن المحاكاة عند المبدع تتحول إلى تخييل لدى المتلقي وبهذا يتحدد لديه مفهوم الشعر الذي يعرفه بقوله:" أن الشعر هو كلام مخيل مؤلف من أقوال موزونة متساوية وعند العرب مقفاة "([[13]](#footnote-13))، وفي هذا التعريف مقارنة بين شعر العرب وغيرهم، وأن العرب يتفردون في إضافة التقفية، وكذلك فإن السمة النوعية الظاهرية الأولى للشعر تتمثل في الوزن والقافية.

كما يتفق **حازم القرطاجي(ت684هـ)** مع ابن سينا في تعريفه للشعر مركزا على ما قاله، فقد جاء في قوله:" الشعر كلام موزون مقفى ،من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها ويكره إليها ما قصد تكريهه، لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه. بها يتضمن من حسن تخييل له، ومحاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيأة تأليف الكلام وقوة صدقه، أو قوة شهرته، أو بمجموع ذلك، وكل ذلك يتأكد بما يقترن به من إغراب، فإن الاستغراب والتعجب حركة للنفس إذا اقترنت بحركتها الخيالية قوى انفعالها وتأثرها"([[14]](#footnote-14)). ويقول في موقع آخر من الكتاب:" الشعر كلام مخيل موزون مختص في لسان العرب بزيادة التقفية إلى ذلك، والتئامه من مقدمات مخيلة، صادقة أو كاذبة، لا يشترط فيها بما هي شعر غير التخييل "([[15]](#footnote-15)).

ويأتي **ابن خلدون (ت808هـ)** ليضع حدا وتعريفا للشعر بقوله:" الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي، مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وما بعده الجاري على أساليب العرب المخصوصة به " ([[16]](#footnote-16)).

وخلاصة القول: إن النظر في التعريفات السابقة، يبين أن النقاد العرب القدامى قد ركزوا على مسألتين الأولى: الشكل والمظهر الخارجي للشعر أو الخصائص التي تميزه عن النثر (الوزن والقافية)، وهذا ما نجده عند ابن طباطبا وقدامة وابن رشيق.

أما المسألة الثانية فهي الصناعة في الشعر، فالشعر صناعة لفظية أو صناعة عقلية أي له قوانين لا بد من فهمها واستيعابها ومن ثم تطبيقها، وهنا يبدو التأثر بنظرية المحاكاة لأرسطو.

وعليه يكون الشعر تعبيرا لغويا له سمات تميزه: كالوزن والقافية، دعامتها التخييل والتصوير.

1. **ابن منظور**: لسان العرب، مادة: ش ع ر، 8/89. [↑](#footnote-ref-1)
2. **حورية الخمليشي**: الشعر المنثور والتحديث الشعري، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1 ، 2010، ص 18. [↑](#footnote-ref-2)
3. **الجاحظ**: الحيوان، تح،عبد السلام هارون ،مصطفى البابي الحلبي ،القاهرة، ط2، 1965،ج3،ص131،132. [↑](#footnote-ref-3)
4. **إحسان عباس**: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 98. [↑](#footnote-ref-4)
5. **ابن طباطبا**: عيار الشعر، تح عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية بيروت، ط 2، 2005 ص 09. [↑](#footnote-ref-5)
6. **جابر عصفور**: مفهوم الشعر، دراسة في التراث النقدي، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط 2، 1982، ص 25. [↑](#footnote-ref-6)
7. **قدامة بن جعفر**: نقد الشعر ، ص 64. [↑](#footnote-ref-7)
8. **عبد الكريم النهشلي** : الممتع في صنعة الشعر تح محمد زغلول سلام،منشأة المعارف، الاسكندرية، دط، دت ،ص19. [↑](#footnote-ref-8)
9. المصدر نفسه ،ص19. [↑](#footnote-ref-9)
10. **ابن رشيق القيرواني** : العمدة، 1/119. [↑](#footnote-ref-10)
11. ينظر: **صلاح رزق**: أدبية النص، دار غريب للطباعة، القاهرة، 2002، ص70 [↑](#footnote-ref-11)
12. نقلا عن **شكري عزيز ماضي**: في نظرية الأدب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005، ص 198. [↑](#footnote-ref-12)
13. **صلاح رزق**: أدبية النص، ص 73. [↑](#footnote-ref-13)
14. **حازم القرطاجني**: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، 1966، ص71. [↑](#footnote-ref-14)
15. المصدر نفسه ، ص 89. [↑](#footnote-ref-15)
16. **ابن خلدون**: المقدمة، 1/ 573 . [↑](#footnote-ref-16)